



yehiatrakhawy@hotmail.com

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

#### مقدمة:

نواصل اليوم هذا النشر المنقطع من هذا الكتاب، لعله الأهم، أن نُقرأ نشرة اليوم التي سنقدم فيها ما تيسر من الفصل السابع، كما أوصى بالبدء بقراءة نشرة أمس.

يحيى

#### الفصل السابع

#### جدل مستويات الوعي "التناص (5) Inter-textuality"

.....  
.....

ولم يتوقف النقد الأدبي المعاصر عند حدود وصف ماهية المصطلح بل تمادى في اعتبار النص خطوة جوهرية في تأسيس عملية تحويل التناص إلى طريقة ومنهج إجرائي له أدوات ووسائل تحليلية تساعد "الناقد أو القارئ المتخصص" في كشف البنية التحتية للنصوص وتعريف دواخلها حيث يقوم بعدة عمليات إجرائية مختلفة بينها الاستدعاء القصدى واللاقصدى أو التوافقي والامتصاص الاسفنجي الموظف، والتداخل والتحويل.

تعقيب:

توقفت فرحا لفترة ليست قصيرة أمام تعبير "الامتصاص الأسفنجي" مع احترامي وقبولي لكل العمليات الإجرائية الأخرى المذكورة، دون التهوين من بعضها والإعلاء من أخرى، برغم ما خطر لي من أن الاستدعاء القصدى هو أقل هذه المناهج فاعلية في عملية التناص مقارنة بالاستدعاء اللاقصدى، ناهيك عن "الحضور" اللاقصدي دون استدعاء

رجعت استرجع ما يحدث في العلاج الجمعي تحديدا حين يتراوح انتباه أحد المرضى (أو المتدربين) زيادة ونقصا أثناء الخمس والثمانين دقيقة المحددة للجلسة الواحدة، وإذا بنا ونحن نلتقط خفوت انتباهه ثم نعاود "تكتشه" إذا بنا نكتشف أنه "كان معنا" بدرجة لم نتوقعها، وحين قرأت الآن تعبير "الامتصاص الأسفنجي" فرحت كما ذكرت حالا لأنه لم يكن يخطر على بالي أن تسعفنى اللغة حتى أرصد ما يحدث بهذه الدقة، وبصراحة تساءلت:

إذا كانت فرصة العلاج الجمعي قد أتاحت لي وللمن أراد مثلي أن يعايش عيانا بيانا مثل هذا

لم يتوقف النقد الأدبي المعاصر عند حدود وصف ماهية المصطلح بل تمادى في احتبار النص خطوة جوهرية في تأسيس عملية تحويل التناص إلى طريقة ومنهج إجرائي له أدوات ووسائل تحليلية تساعد "الناقد أو القارئ المتخصص" في كشف البنية التحتية للنصوص وتعريف دواخلها

يقوم بعدة عمليات إجرائية مختلفة بينها الاستدعاء القصدى واللاقصدى أو التوافقي والامتصاص الاسفنجي الموظف، والتداخل والتحويل.

أن الاستدعاء القصدى هو أقل هذه المناهج فاعلية في عملية التناص مقارنة بالاستدعاء اللاقصدي، ناهيك عن "الحضور" اللاقصدي دون استدعاء

حين قرأت الآن تعبير "الامتصاص الأسفنجي" فرحت كما ذكرت حالا لأنه لم يكن يخطر على بالي أن تسعفنى اللغة حتى أرصد ما يحدث بهذه الدقة

“الامتصاص الأسفنجي” فأية مهارة وأي إبداع نقدي يمكن أن يتح الفرصة لنا قد مهما بلغت درجة إبداعه النقدي أن يرصد مثل هذا الامتصاص الأسفنجي، علما بأن عليه أن يرصد هذا الامتصاص الذي جرى بين نص أو نصوص أسبق وبين النص الأحداث الحالي، هذا ما ينبغي أن نحترمه أبلغ الاحترام، وأن نواصل ونحن ننسج على منواله فروضنا ومقارنات قد تعيننا في موقفنا العلاجي، كما قد تتيح لنا وصفا أدق وعلما أرقن، ونحن نعيش هذا “الامتصاص الأسفنجي” بين مستويات وعينا معا بهذه المباشرة، حين تتاح لنا فرصة تقييم ما نعمل بنتائج مسيرة العلاج أولا بأول دون اختزال أو استعجال!!

ثم يقول نقاد الأدب:

“إن التناص مفتاح لقراءة النص، لفهمه، لتحليله، لتفكيكه، وإعادة تركيبه لمعرفة كيف تم انتاج الخطاب، حيث يؤكد على ضرورة استخراج المصادر اللاواعية للنص، لأنها ستتمكن الناقد من ربط سياق النص الذي هو موضوع التحليل بسياق الثقافة التي تشكّل النص في إطارها.”

تعقيب:

...أتوقف هنا أمام تعبير استخدام “المصادر اللاواعية” خشية أن يتصور أطباء النفس والمحللين النفسيين بل وغالبا عامة الناس أن المقصود هو اللاوعي الفرويدي بمحتواه التذكري أو حتى المتداعي، ذلك أن الباحث يكمل قائلا: “لأنها ستتمكن الناقد من ربط سياق النص .... بسياق الثقافة التي تشكّل النص في إطارها”، وشتان بين هذا التعبير وبين اختزال ما حصل عليه من محتوى اللاوعي أو مخزون الذكريات لنفسه به -وبسببية خطية عادة- ما جدّ على النص البشري فأمرضة، إن تعبير “سياق الثقافة التي تشكل النص البشري في إطارها” يمكن أن نستلهم منه أن العلاج الذي يزعم أنه يقوم بنقد النص البشري عليه أن يستوعب “سياق الثقافة التي تشكل النص في إطارها” أو على الأقل أن يهتم بسياق هذه الثقافة بنفس القدر و أكثر من اهتمامه بمحتوى المحكى من ذكريات وتصورات عن أحداث اللاشعور (كما يتصورها المحلل النفسي أو المريض أو كلاهما) بأقل تركيز على علاقتها بسياق الثقافة التي جرت فيها.

ومن بين المعلومات الرائعة والقوانين التي وصلتني من دراسات التناص في النقد الأدبي ما قام به نقاد التناص بالإشارة إلى ثلاث قوانين هي:

“ (1) الاجترار: ”وهو عملية إعادة كتابة النص الغائب بوعي سكوني وتمجيد بعض المظاهر الشكلية:

“ (2) الامتصاص: ”وهو عملية إعادة كتابة النص الغائب وفق حاضر النص الجديد ليصبح استمرارا له متعاملا معه بمستوى حركي وتحولي.

“ (3) الحوار: ”وهو عملية تغيير النص الغائب ونفي قدسيته في العمليات السابقة.

تعقيب:

ألهمني هذا الرأي أن أرى ما يجري في العلاج الجمعي قياسا على هذه القوانين، بدءا أن أخذ المعالج ممثلا للنص المقابل لنص أحد المرضى، وذلك باعتبار أن المعالج هو النص البشري الأساسي، علما بأن ما يسرى عليه يمكن أن يسرى على أي من المشاركين في العلاج الذي يشمل أكثر من الاثنين، ثم إنه يسرى على علاقة أي نص من الحاضرين بالنص الجماعي الذي يتكون داخل المجموعة، ونسميه عادة “الوعي الجمعي”

إذا كان هناك فرصة العلاج الجمعي قد أتاحت لي ولمن أراد مثلي أن يعايش حيانا بيانا مثل هذا الامتصاص الأسفنجي” فأية مهارة وأي إبداع نقدي يمكن أن يتح الفرصة لنا قد مهما بلغت درجة إبداعه النقدي أن يرصد مثل هذا الامتصاص الأسفنجي

إن التناص مفتاح لقراءة النص، لفهمه، لتحليله، لتفكيكه، وإعادة تركيبه لمعرفة كيف تم انتاج الخطاب

ضرورة استخراج المصادر اللاواعية للنص، لأنها ستتمكن الناقد من ربط سياق النص الذي هو موضوع التحليل بسياق الثقافة التي تشكّل النص في إطارها

أتوقف هنا أمام تعبير استخدام “المصادر اللاواعية” خشية أن يتصور أطباء النفس والمحللين النفسيين بل وغالبا عامة الناس أن المقصود هو اللاوعي الفرويدي بمحتواه التذكري أو حتى المتداعي

إن تعبير “سياق الثقافة التي تشكل النص البشري في إطارها” يمكن أن نستلهم منه أن العلاج الذي يزعم أنه يقوم بنقد النص البشري عليه أن يستوعب “سياق الثقافة التي تشكل النص في إطارها

الاجترار: ”وهو عملية إعادة كتابة النص الغائب بوعي سكوني وتمجيد بعض المظاهر الشكلية:

الامتصاص: ”وهو عملية إعادة كتابة النص الغائب وفق حاضر النص الجديد ليصبح استمرارا له متعاملا معه بمستوى حركي

وتحولى

أن المعالج هو النص البشرى  
الأساسى، علما بأن ما يسرى  
عليه يمكن أن يسرى على أى  
من المشاركين في العلاج  
الذى يشمل أكثر من الاثنين

أما عن "الاجترار" فإن ما يجرى  
فى العلاج الجمعى قد يستقبله  
أحد المرضى على مستوى  
سطحى فلا يطله من حركية  
"الوعى معاً" إلا ألفاظ حكمة  
المعالج أو ألمعية زميل مريض  
جاهز التعقيب، فيلتقط ألفاظه  
وأسلوبه أكثر من معابثته  
التداخل بين وعيه ووعى  
المعالج أو الزميل "الألمعى"،  
ويروح يردد لها (يجترها) دون  
عمق

لا ينتج عن الامتصاص الإسفنجى  
هنا إعادة كتابة نص غائب،  
وإنما تخليق نص جديد - وعى  
نام احده - عند الطرفين

لاحظناه أيضا فى العلاج الجمعى  
ورجحنا له دور سلبى حين  
تنقلب المسألة إلى تراشق  
بالآراء، وأثبت لي وأثبت  
لنك، و"عشان"، و"أصل"  
و"ماهو يعنى"، و"بما إن"،  
و"لأن" وهذا ما نسميه أحيانا  
فى العلاج الجمعى نشاط  
"المكلمة"

التناص هو الوقوع فى حال  
تجعل المبدع يقيس أو يضمن  
ألفاظا وأفكارا كان التهمما  
فى وقت سابق دون وعى  
صريح بهذا الأخذ المتسلط عليه  
من مجامع ذاكرته ومتاهاته  
وعيه....

النتيجة هى أن النص الغائب:  
يُمتص ويتحول ويذوب ولا  
يعود له إلا وجود إيحائى،  
فإذا زاد وجوده عن ذلك

\*أما عن "الاجترار" فإن ما يجرى فى العلاج الجمعى قد يستقبله أحد المرضى على مستوى  
سطحى فلا يطله من حركية "الوعى معاً" إلا ألفاظ حكمة المعالج أو ألمعية زميل مريض جاهز  
التعقيب، فيلتقط ألفاظه وأسلوبه أكثر من معابثته التداخل بين وعيه ووعى المعالج أو الزميل  
"الألمعى"، ويروح يردد لها (يجترها) دون عمق، بل وقد يتمادى حتى يستعملها خارج نطاق جلسات  
العلاج الجمعى (أو الوسط) مما قد يجعله عرضه للسخرية حتى من المجموعة وقد وصل الأمر بنا أن  
رصدنا هذه المضاعفة فرحنا نسخر ممن يتورط فيها ونصفه بأنه أصبح "جروبياً): "جروبى: بمعنى  
أنه انتمى إلى فئة خاصة - وهى المجموعة - لها طقوسها الخاصة ولغتها الخاصة لكن من الظاهر  
فقط).

\*أما القانون الثانى وهو "الامتصاص" فهو الأقرب إلى ما فرحت له وأنا أعلن استقبالى لتعبير  
"الامتصاص الإسفنجى"، فهو وصف يكاد يتطابق مع تسحب تأثير وعى (نص) على وعى آخر (نص)  
آخر) من خلال الامتصاص (الإسفنجى خاصة) الذى ينفى التأويل والتفسير بالإحاء أو الإقناع أو  
التقليد أو كل ذلك، وقد لاحظنا مثل ذلك فى العلاج الجمعى - مع عجزنا عن تسميته - حين يتحرك  
الوعى وينشط فى لقاء مع النص المقابل، وهو حاضر هنا والآن - وليس غائبا وماضيا كما فى النص  
الأدبى - وبالتالي لا ينتج عن الامتصاص الإسفنجى هنا إعادة كتابة نص غائب، وإنما تخليق نص  
جديد - وعى نام احده - عند الطرفين.

\*القانون الثالث الذى اسماه الناقد "الحوار" لاحظناه أيضا فى العلاج الجمعى ورجحنا له دور  
سلبى حين تنقلب المسألة إلى تراشق بالآراء، وأثبت لي وأثبت لك، و"عشان"، و"أصل" و"ماهو  
يعنى"، و"بما إن"، و"لأن" وهذا ما نسميه أحيانا فى العلاج الجمعى نشاط "المكلمة" (2)، أو  
"تدريبات عضلة العقل المعقلن فى المحل"، بديلا عن مشاركة الوعى مع الوعى بالجدل والإبداع معا  
دخولا وخروجا : تخليقا متجددا طول الوقت.

وأخيرا، يرد فى نفس المقام:

"التناص هو الوقوع فى حال تجعل المبدع يقيس أو يضمن ألفاظا وأفكارا كان التهمما فى وقت  
سابق دون وعى صريح بهذا الأخذ المتسلط عليه من مجامع ذاكرته ومتاهاته وعيه....

ويضيف باحث آخر أن النتيجة هى أن النص الغائب يُمتص ويتحول ويذوب ولا يعود له إلا وجود  
إيحائى، فإذا زاد وجوده عن ذلك خرج عن حدود التناص والإبداع إلى حدود التأثير والمحاكاة.  
تعقيب عام:

فإذا انتقلنا إلى القياس بما يحدث فى العلاج الجمعى (و علاج الوسط) وجدنا أن الذى يحدث هو  
"أقرب" و"أوضح" بل أكاد أقول أجهز لو عرفنا الطريق إليه ، وذلك لأنه لا يوجد فى العلاج نص  
غائب - كما ذكرنا - وإنما نص حاضر: آخر مع آخر "معاً" و "هنا والآن" وعلى ذلك فلا يوجد من  
يأخذ ويقتبس من نص آخر، دون أن يأخذ هذا النص الآخر منه ما تحرك به وما تحرك فيه، مهما  
تباينت نسبة الأخذ والاقتباس.

لكن المهم بعد، ومع، هذه الفرص المتاحة "الآن" هو أن ما يؤخذ على الجانبين "يُمتص"  
و"يتحول" و"يذوب": فهو الإبداع المتبادل معا.!!!

وبعد

هل نواصل التعلم من منظومة النقد الأدبى ونواصل استعارة بعض أبجديتها لعلها تعيننا على وصف

ما نفعل، ربما تساعد في نقله للآخرين؟

ليس عندي أمل كبير أن ما قدمته حالاً كما وصلني يمكن أن يصل ولو إلى خمسة أو عشرة ممن يمارسون العلاج الجمعي أو علاج الوسط بمجرد قراءة الكلمات برغم ما فيها من دهشة وانبهار، لعلهم يفيدونني إن كانت الأبجدية النقدية الأدبية التي استعرتها من النقد الأدبي، قد أوضحت العلاج كما نمارسه من منطلق "نقد النص البشري" الذي هو الواجهة العملية الحالية لتقديم "الطبنفسى الإيقاعي" ومع ذلك دعونا نتابع دراسات النقد الأدبي عن "التناص" في محاولة القياس عليها لعلنا نستطيع أن نتعرف على طبيعة وخطوات ما نفعله فعلاً بما يفسر ما تلقاه من نتائج نوعية متميزة خاصة في كل من العلاج الجمعي وعلاج الوسط.

ابتداءً: أتمنى أن يكون مقبولاً كيف يكون هذا الكائن الإنسان العاقل (الهوموسابينس) مجرد نص له كل مواصفات النص الأدبي ولكن بأرقى ما يمكن أن يتصف بها نص كائن حي، حيث أن مبدعه هو بديع السماوات والأرض، قبل أن يتشوه، وذلك عبر ملايين بل بلايين السنين من التطور بما يترتب على هذه التذكرة من محاذير.

.....  
.....

(ونكمل الأسبوع القادم)

- [1] انتهيت من مراجعة أصول "الطبنفسى الإيقاعي" التطوري" وهو من ثلاث أبواب: وسوف نواصل النشر البطيء آملًا في حوار، منشورات جمعية الطب النفسي التطوري (2022) (تحت الطبع)
- [2] هذه الكلمة: "المكلمة"، صكها صلاح جاهين لتعني المناقشات اللفظية لقتل الوقت، والتباهي بالشطارة المناقشاتيّة، أكثر من دورها في حمل معنى أو الوصول إلى هدف

إرتباط كامل النص مع المقترحات:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD060222.pdf>

إرتباط كامل النص:

<https://rakhawy.net/%d9%85%d9%82%d8%aa%d8%b7%d9%81%d8%a7%d8%aa-%d9%85%d9%86-%d8%b3%d9%84%d8%b3%d9%84%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a8%d9%86%d9%81%d8%b3%d9%89-%d8%a7%d9%84%d8%a5%d9%8a%d9%82%d8%a7%d8%b9%d8%ad%d9%8a-2/>

خرج عن حدود التناص والإبداع إلى حدود التأثر والمحاكاة

لا يوجد في العلاج نص جانبي - كما ذكرنا - وإنما نص حاضر: آخر مع آخر "معاً" و "هنا والآن

لا يوجد من يأخذ ويقتبس من نص آخر، دون أن يأخذ هذا النص الآخر منه ما تحرك به وما تحرك فيه، مهما تباينت نسبة الأخذ والاقتباس

المهم بعد، ومع، هذه الفرص المتاحة "الآن" هو أن ما يؤخذ على الجانبين "يتمص" و"يتحول" و"يذوب": فهو الإبداع المتبادل معاً!!!.

كيف يكون هذا الكائن الإنسان العاقل (الهوموسابينس) مجرد نص له كل مواصفات النص الأدبي ولكن بأرقى ما يمكن أن يتصف بها نص كائن حي، حيث أن مبدعه هو بديع السماوات والأرض

## شبكة العلوم النفسية العربية

نحن تعاون عربي رفياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2022 1 "شبكة العلوم النفسية العربية" (الإصدار الحادي عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 19 على الويب

22 عاماً من الضحى... 19 عاماً من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>